زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي

التعليق

على

الهائية في الزهد والرقائق

لحافظ الحكمي رحمه الله تعالى (ت ١٣٧٧)

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى

زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه أما بعد:

درسنا[١] في هذه الدقائق حول منظومة جميلة في الزهد والترغيب والترهيب للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله تعالى: وهي من أجمل ما نظمه وأيضا من أحسنها عبارة ، وقد نشرها وشرحها الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي عام ١٣٩٣هـ، جزاه الله تعالى خيرًا، وشرحها مؤخرًا الشيخ عبد الرزاق البدر وفقه الله تعالى، ولها شروحات كثيرة.

كتبه

أبو عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى.

****

(١) كان في دورة الروضة شبوة ١٤٤٦ هـ وفرغت ثم تم تعديلها، والله الموفق.

اَلْقَصِيدَةُ الْهَائِيَّةُ

١- مَـا لِيْ ولِلـدُّنيا ولَيسـتْ بِبُغْيَتِـي ... ولا مُنْتَهى قَصْدي ولستُ أنا لها
٢- ولسـتُ بِمَيَّـالٍ إليهَـا ولا إلى ... رِئاسَـتِها نَتنًـا وقُبْحًـا لحالِـها
٣- هـيَ الـدارُ دارُ الهـمِّ والغَـمِّ والعَنا ... سَريـعٌ تَقَضِّـيها قَريـبٌ زوالُها
٤- مَياسِـيرُها عُسْرٌ وحُـزْنٌ سُرُورُها ... وأرْباحُهـا خُسْرٌ ونَقْـصٌ كَمالُها
٥- إذا أضْحَكَتْ أبكَتْ وإنْ رامَ وصْلَها ... غَبِـيٌّ فيـا سُرْعَ انقِطـاعِ وِصالِـها
٦- فأسْـأَلُ ربِي أنْ يَـحُولَ بِحَوْلِـهِ ... وقوَّتِـهِ بَيْنِـي وَبَـينَ اغْتِيالِـها
٧- فَيـا طَالِـبَ الـدُّنيا الدَنِيئَـةِ جاهِـدًا ... ألَا اطْلُـبْ سِـواهَا إنَّهـا لا وَفَـا لَـها
٨- فَكَمْ قدْ رَأَيْنـا مِـنْ حَـرِيْصٍ وَمُشْـفِقٍ ... عَلَيْهـا فَلَـمْ يَظْفَـرْ بِهـا أنْ يَنَالَـها
٩- لَقَـدْ جَـاءَ في آيِ الحديـدِ وَيُـوْنُسٍ ... وفي الكَهفِ إيضَـاحٌ بِضَرْبِ مِثَالَـها
١٠- وفي آلِ عِمـرانَ وَسُـورةِ فَـاطِرٍ ... وفي غَـافِرٍ قـدْ جـاءَ تِبْيـانُ حَالِـها
١١- وفي سُورةِ الأحْقـافِ أعْظَـمُ واعِـظٍ ... وكَمْ مِـن حَـديثٍ مُوجِـبٍ لاعْتِزَالها
١٢- لقـدْ نظَـرَ قَـومٌ بِعَـينِ بَصِـيرةٍ ... إليهَـا فَلَـمْ تَغْـرُرْهُمُ بِاخْتِيالهَـا
١٣- أُولَئِـكَ أهْـلُ اللهِ حَقًّـا وحِزْبُـهُ ... لهُـمْ جَنـةُ الفِـرْدَوسِ إرْثًـا ويَالَهَـا
١٤- ومـالَ إليهـا آخَـرُونَ لِـجَهْلِهِم ... فلَـمَّا اطْمـأَنُّوا أرْشَـقَتْهُم نِبالَهَـا
١٥- أولئـكَ قَـومٌ آثَروهـا فـأُعْقِبوا ... بِها الخِزْيَ في الأُخْـرى وذاقُـوا وبالَهَا
١٦- فقُـلْ لِلَّـذينَ اسْـتَعْذَبوها رُوَيْـدَكَم ... سَـيَنْقَلِبُ السُّـمَّ النَّقِيـعَ زُلَالُـهَا
١٧- لِيَلْهُـوا ويَغْـتَرُّوا بِهـا مَـا بَـدا لَـهُم ... مَتـى تَبْلُـغِ الحُلْقـومَ تُصْرَـمْ حِبالُـها
١٨- ويـومَ تُـوَفَّى كُـلُّ نَفْـسٍ بِكَسْـبِها ... تَـوَدُّ فِـدَاءً لَـوْ بَنِيهـا ومالَـها

١٩- وتَأْخـــذُ إمَّـــا بِـــاليَمينِ كِتابَهـــا إذا أحْسَـــنتْ أو ضِـــدَّ ذا بِشِمالِـــها
٢٠- ويَبْـدُو لَـدَيْها مَـا أَسَرَّتْ وأَعْلَنَـتْ ومَـا قَـدَّمَتْ مَـنْ قَوْلِـها وفِعَالِـهَا
٢١- بِأيْـدي الكِـرامِ الكَـاتِبينَ مُسَـطَّرٌ فَلَـمْ يُغْـنِ عَنْهـا عُـذْرَها وَجِدَالَـها

٢٢- هُنالَـكَ تَـدْري رِبْحَهـا وخَسَـارَها وإذْ ذاكَ تَلْقَـى مَـا إلَيْـهِ مآلَـها
٢٣- فإنْ تَكُ مِنْ أهـلِ السَّـعادَةِ والتُّقَـى فـإنَّ لَـها الحُسْـنَى بِحُسْـنِ فِعالِـها
٢٤- تَفُـوزُ بِجَنَّـاتِ النَّعِـيمِ وحُوْرِهَـا وتُـحْبَرُ فِي رَوْضـاتِها وظِلالِـها

٢٥- وتُرْزَقُ مِـمَّـا تَشْـتَهي مِـنْ نَعِيْمِها وتَشْـرَبُ مِـنْ تَسْـنِيمِها وزُلَالِـها
٢٦- وإنَّ لَـهُمْ يَـومَ الـمَزيدِ لَـمَوْعِدًا زِيـادَةُ زُلْفَـى غَـيرُهم لا يَنالُـها
٢٧- وُجـوهٌ إلى وَجْـهِ الإلَـهِ نَـوَاظِرٌ لقَـدْ طَـالَ مَـا بِالـدَّمْعِ كَـانَ ابْتِلَالُـها
٢٨- تَـجَلَّى لَهَـا الـربُّ الـرحيمُ مُسَلِّـمًا فيَـزْدادُ مِـنْ ذاكَ الـتَّجَلِّي جَمالُـها
٢٩- بِمَقْعَـدِ صِـدقٍ حَبَّـذا الجـارُ رَبُّـهم ودارُ خُلُـودٍ لم يَـخافُوا زَوالَـها
٣٠- فواكِهُهَـا مِـمَّا تَلَـذُّ عُيُـونَهُم وتَطَّـرِدُ الأنْهـارُ بـينَ خِلالِـها
٣١- عَـلى سُرُرٍ مَوْضُـونَةٍ ثُـمْ فُرُشُـهُمْ كَـما قَـالَ فِيهـا رَبُّنـا وَاصِـفًا لَهَـا
٣٢- بَطائِنُهـا إسْـتَبْرَقٌ كيـفَ ظَـنُّكُم ظَواهِرُهـا لا مُنْتَهَـى لِـجَمالِـها
٣٣- وإن تكـنِ الأُخـرَى فَوْيـلٌ وحَسْرَـةٌ ونـارُ جَحِـيمٍ مَـا أشَـدَّ نَكَالَـها
٣٤- لهـمْ تَحْـتَهُمْ مِنهـا مِهَـادٌ وفَـوْقَهُم غَوَاشٌ ومِن يَـحْمُومَ سـاءَ ظِلالُـها
٣٥- طَعامُهُمُ الغِسْـلِينُ فِيهـا وإنْ سُـقُوا حَـمِيمًا بِـهِ الأمْعـاءُ كـانَ انْحِلالُهـا
٣٦- أمـانِيُّهُم فِيهـا الهَـلَاكُ ومالَـهُم خُـرُوجٌ ولا مَـوتٌ كَـما لا فَنـا لَهَـا
٣٧- مَـحَلَّينِ قُلْ لِلـنَّفْسِ لَـيسَ سُـواهُما لِتكْسِـبْ أو فَلْتكْتَسِـبْ مـا بَـدا لَهَـا
٣٨- فَطُـوبَى لِـنَفْسٍ جَـوَّزَتْ وتَخَفَّفَـتْ فَتَنْجُـو كَفافًـا لا عَلَيْهـا ولا لَهَـا

قال رحمه الله تعالى:

١ - مَـا لِيْ ولِلـدُّنيا ولَيسـتْ بِبُغْيَتِـي ولا مُنْتَهى قَصْدي ولسـتُ أنـا لهـا
٢ - ولسـتُ بِمَيَّـالٍ إليهَـا ولا إلى رِئاسَـتِها نَتنًـا وقُبْحًـا لحالِـها

التعليق

هذان البيتان فاتحت المنظومة.

١ - (مَا لِيْ ولِلدُّنيا) أي ليست من اهتمامي وكذلك ليست قصدي بل له مقاصد أخرى منها العلم والعمل للآخرة وقوله:(ما لي وللدنيا) ما مأخوذ من حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (ما لي وللدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها).
(ولَيستْ بِبُغْيَتِي) أي ليست مما أطلب وأهتم به. (ولا مُنْتَهى قَصْدي) إنما منتهى قصده العمل للآخرة والذي يجعل الدنيا هي مقصده الأكبر فقد أخطأ فإن الدنيا قليل وتزول الدنيا قليل ثم يأتي عليها الزوال وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: (ولا تجعل الدنيا أكبر همنا) وأيضًا قال: (من كانت الدنيا همة فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه)، فتعظيم الدنيا مذموم.

٢ - (ولستُ بِمَيَّالٍ إليهَا...) لا يميل إلى الدنيا لكونها في نظر حقيرة. (ولا إلى رِئاسَتِها) ولا إلى الزعام في الدنيا سواء عبر السياسة أو التجارة. (نتنًا) نتنة صفة للدنيا بأنها نتن بمعنى قذرة (وقبحًا لحالها) أي بُعدًا لحال الدنيا التي هي متاع الغرور ثم تنقضي، وسيأتي وصف الدنيا.

****

٣- هيَ الـدارُ دارُ الهـمِّ والغَـمِّ والعَنـا سَريـعٌ تَقَضِّـيْها قَريـبٌ زوالُهـا
٤ - مَياسِـيرُها عُسْرٌ وحُـزْنٌ سُرُورُهـا وأرْباحُهـا خُسْرٌ ونَقْـصٌ كَمالُهـا
٥- إذا أضْحَكَتْ أبكَتْ وإنْ رَامَ وصلَها غَبِيٌّ فيـا سُرْعَ انقِطـاع وِصالِـها

التعليق:

يصف الدنيا يقول هي دار الهم والغم هذا حال الدنيا يعيش الإنسان بين الهم في أمور ستأتي، وبين الغم فيما هو فيه، وبين الحزن على ما مضى. وكذلك العنا بمعنى التعب.

هذا حال الدنيا سرور وحزن وعسر ويسر، وهموم وغم.

والدنيا كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ يُفهم من ذلك أن من اتبع الدنيا يضل ويشقى والله المستعان.

ومن أوصاف الدنيا أنها تذهب سريعًا. (سَريعٌ تَقَضِّيْها قَريبٌ زوالُها) كما قال الله تعالى: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ هذا وصف الدنيا متاع قليل.

٤ - وكذلك من أوصاف الدنيا (مَياسِيرُها عُسْرٌ) عسر أي: ما تيسر من الدنيا فإنه أحيانا يكون فيه العسر، إما في الحساب أو أحيانًا لا يحصل الإنسان على قليل من الدنيا إلا بصعوبة وهم وغم، فكم من شخص يصبح من الصباح في عمل إلى الليل وربما تمر به أزمات كثيرة.

(وحُزْنٌ سُرُورُها) إذا أسرَّت فإن بعد هذا السرور حزن وضيق.

(وأرْباحُها خُسْرٌ ونَقْصٌ كَمالُها) أرباح الدنيا خسر لأنها لا تنفع في الآخرة، وهذا في حق من كانت أرباحها شاغلة له عن عبادة الله تعالى، أو كانت من حرام، أما من اكتسبها من حلال وأنفقها في أبواب الخير فإنه بذلك يكون قد انتصر على الدنيا.

(ونَقْصٌ كَمَالُها) مهما بلغ الإنسان في الدنيا من الكمال: عافية البدن أو غنى المال أو قوة الجاه؛ فإنها لا زالت نقص إذا قسناها بالطاعات أو قسناها بالآخرة.

٥- (إذا أَضْحَكَتْ أبكَتْ) لسرعة تقلبها، فتضحك بالحصول على المراد منها، ثم تبكي بما يقع فيها من شدة وكرب.

(وإنْ رامَ وصْلَها غَبِيٌّ) الغبي: الذي لا يحسن التصرف.

من أراد أن يتصل بالدنيا اتصالًا قويًّا ويجعل الدنيا هي الأصل؛ فإنه غبي لا يحسن التصرف، وعلل ذلك بقوله: (فيا سُرْعَ انقِطاعِ وِصالِـها) أي أنها تتركه سريعًا كم من إنسان كان يتقلب في النعم تغيرت أحواله فجأة وصار إلى فقر.

****

٦- فأسْـــأَلُ ربِي أنْ يَـــحُولَ بِحَوْلِـــهِ وقوَّتِـــهِ بَيْنِـــي وَبَـــينَ اغْتِيالِـــها
٧- فَيـا طَالـبَ الـدُّنيا الدَنِيئَـةِ جاهِـدًا أَلَا اطْلُـبْ سِـواهَا إنَّهـا لا وَفَـا لَـها
٨- فَكَمْ قدْ رَأَيْنا مِـنْ حَـرِيْصٍ وَمُشْـفِقٍ عَلَيْهـا فَلَـمْ يَظْفَـرْ بِهـا أنْ يَنَالَـها

التعليق:

٦- يدعو الله سبحانه وتعالى أن لا تغتاله الدنيا؛ فإن الدنيا لها اغتيال تغتال القلب وبعد أن تغتال القلب يجد الإنسان ثقل الطاعة والعبادة ويجد لذة العمل للدنيا.

وهذا حاصل فرُبَّ شخص إذا قيل له تفرغ مثلًا للعلم. فيقول: حملوني حجارة ولا تقولوا تفرغ للعلم، احفظ، راجع.

وهذا حال كثير من الناس عندهم فقر لكن يفضل أن يبقى بالفقر والشغل في الدنيا على أن يبقى في طلب العلم؛ لأنه يجد في طلب العلم مشقة، وسبب ذلك أن قلبه قد اغتالته الدنيا وأصبح أسيرًا لها، ومتعلِّقًا بحطامها.

٧- (فَيا طَالبَ الدُّنيا الدَنِيئَةِ جاهِدًا) يا أيها الحريص المجتهد من أجل أن تنال من الدنيا الأموال المباني الزعامات إن الدنيا دنيئة، أي: شأنها قليل وحقير لا تستحق أن تبذل جهدك وغايتك لها (جاهدًا) يعني مجتهدا تطلب على الدنيا أكثر مما تستحق.

(أَلَا اطْلُبْ سِواهَا) اطلب الآخرة اطلب الجنة اطلب رضا الله تعالى، فإن هذا أيسر من طلب الدنيا، (إنَّها لا وَفَا لَـها) لا تفي لأحد بدوام الحال، وهكذا خلق الله تعالى الدنيا، فلا تتعب نفسك بتغيير حقيقتها، فهذا غير ممكن.

٨- (فَكَمْ قدْ رَأَينا مِنْ حَرِيْصٍ وَمُشْفِقٍ عليها) حريص على جمعها ومشفق أن تذهب من يده. (فَلَمْ يَظْفَرْ بِها أنْ يَنَالَـها) يكد ليلًا ونهارًا عنده أماني كثيرة لا يصل إلى شيء منها إلا ما قد كُتب له.

جاء من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اتقوا الله وأجملوا في الطلب) ما معناه؟ فسرها بالجملة التي بعدها قال: (خذوا ما حل ودعوا ما حرم، فإنها لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها).

كل نَفَس وحتى الخطوات والحركات وحتى رموش العين، لن تموت نفس حتى تأخذ آخر حركة وآخر رزق لها في الدنيا.

❊❊❊❊

٩- لَقَـدْ جَـاءَ فِي آيِ الحديـدِ وَيُـوْنِسٍ وفي الكَهفِ إِيضَاحٌ بِضَرْبِ مِثَالَـها
١٠- وفي آلِ عِمـرانَ وَسُـورةِ فَـاطِرٍ وفي غَـافِرٍ قـدْ جـاءَ تِبْيـانُ حَالِـها
١١- وفي سُورةِ الأحْقافِ أعظَمُ واعِـظٍ وكَمْ مِـن حَـديثٍ مُوجِـبٍ لاعْتِزَالِها

التعليق:

٩- (لَقَدْ جَاءَ فِي آيِ الحديدِ) فقد جاء ضرب مثال الدنيا في سورة الحديد، قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ . هذه هي الدنيا متاع يعظم ثم يضمحل وتخدع الذي يأنس بها.

(وَيُوْنِسٍ) وفي سورة يونس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هذا حال الدنيا كالعشب الذي نزل عليه الماء أصبح أخضر جميلًا باهي اللون، ثم ييبس ويسقط في الأرض.

وهكذا الإنسان بعد قوة الشباب يأتي ضعف الشيخوخة ثم بعدها يأتي الموت وينتهي كل شيء.

(وفي الكَهفِ إِيضَاحٌ بِضَرْبِ مِثَالَـها) وفي الكهف قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ وهذا المثال كالمثال الذي قبله.

١٠- (وفي آلِ عِمرانَ وَسُورةِ فَاطِرٍ) وأما الآيات التي في آل عمران وفاطر وغافر فهي قول الله جل وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، متاع قليل كلمة متاع تعني قليل والغرور يعني مع قلتها يغتر بها كثير من الناس.

وقال الله في سورة فاطر:﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ .

(وفي غَافِرٍ قدْ جاءَ تِبْيانُ حَالِـها) قال الله سبحانه وتعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾.

١١- (وفي سُورةِ الأحْقافِ أعظَمُ واعِظٍ) هو قول الله جل وعلا: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ هذه الدنيا كأنها ساعة، اسألوا كبار السن كيف الدنيا؟ سيقول لك: مرت ولا شعرنا بها كأنها يوم أو ساعة. فهل نخاطر بالجنة من أجل لهو ساعة؟!

(وكَمْ مِن حَديثٍ مُوجِبٍ لاعْتِزَالها) أحاديث تحث على الزهد في الدنيا سيأتي بعضها.

****

١٢ - لقــدْ نظَــرَ قَــومٌ بِعَــينِ بَصِــيرةٍ إليهَــا فَلَــمْ تَغْــرُرْهُمُ بِاخْتِيالهَــا
١٣ - أُولَئِــكَ أهْــلُ اللهِ حَقًّــا وحِزْبُــهُ لهُــمْ جَنــةُ الفِــرْدَوسِ إِرْثًــا ويَالهَــا

التعليق:

١٢ - (لقدْ نظَرَ قَومٌ بِعَينِ بَصِيرةٍ إليهَا) لقد نظر قوم ممن أعطاهم الله جل وعلا بصيرة وفهمًا في حقيقة الدنيا فنظروا إليها نظر اعتبار، نظر معرفة بحقيقتها؛ (فَلَمْ تَغْرُرْهُمُ بِاخْتِيالهَا) فلم تخدعهم بزخرفها وزينتها ومتاعها، فالدنيا فيها من الزينة والبهجة ما تغر به كثيرًا من الناس.

١٣ - (أُولَئِكَ أهْلُ اللهِ حَقًّا وحِزْبُهُ) هؤلاء الذين فقهوا أمر الدنيا هم أهل الله تعالى حقًّا وحزبه، هم أولياء الله تعالى وهؤلاء هم الذين أراد الله جل وعلا بهم خيرًا كما في الحديث: (إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما تحمون مريضكم من الطعام).

(لهمْ جَنةُ الفِرْدَوسِ) والذين زهدوا في الدنيا وأقبلوا على الآخرة لهم جنة الفردوس.

(إِرْثًا ويَالهَا) يرثونها فيقيمون فيها كما يقيم من يرث في الدنيا في دار أبيه، والمعنى: لا متحول لهم عنها، أعدها الله تعالى لمن زهد في الدنيا وأقبل على الآخرة بصدق وإخلاص مع صلاح العقيدة ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

وقوله:(ويَالهَا) يعني: ويا لعظمتها فهي لفظة يراد بها التعظيم، مثل (وما أدراك) فهي لفظة يراد بها التعظيم.

****

١٤- ومـالَ إليهـا آخَـرُونَ لِـجَهْلِهِم فلـمَّا اطْمـأَنُّوا أَرْشَـقَتْهُم نِبالَهَـا

١٥- أولئـكَ قَـومٌ آثَروهـا فـأُعْقِبوا بِها الخِزْيَ في الأُخْـرى وذاقُـوا وبالَهَـا

التعليق:

١٤- (ومالَ إليها آخَرُونَ لِـجَهْلِهِم) ومال إليها آخرون بسبب جهلهم، والجهل يكون معناه عدم العلم، ويكون معناه عدم الصبر، فغالب الناس يعرفون أن الدنيا غرور وفتنة لكن لا يستطيعون الصبر والثبات والبعد عنها، فيكون جهلهم هو عدم صبرهم عن زينتها وانكبابهم عليها. (فلمَّا اطْمأَنُّوا) فلما اطمأنوا وحصلوا على شيء من متاع الدنيا وظنوا أنهم قد فازوا بها (أَرْشَقَتْهُم نِبالَهَا) جاءت نوائب الدهر: المصائب الأمراض الفقر وما يحصل مما ترون وتسمعون، مما قدره الله تعالى في هذه الدنيا. يتغير أحيانًا الحال في عشية وضحاها إما بموت وإما بفقر وإما بمرض، وكم من إنسان في غاية الثراء لا يستطيع أن يأكل إلا أشياء محددة وبمقدار محدد، محروم من تلك الأموال الطائلة التي جناها.

١٥- (أولئكَ قَومٌ آثَروها) قدَّموها على الآخرة، كيف؟ إذا جاء وقت فيه دنيا وفيه عمل أخروي يقدم الدنيا، جاء وقت الصلاة يفتح دكانه، جاءت محاضرة يذهب يعمل ويترك المحاضرة، أو يشتغل أو يبيع أو يشتري ويترك الدرس، فهذا آثر الدنيا والله المستعان.

(فأُعْقِبوا بِها الخِزْيَ في الأُخْرى وذاقُوا وبالَها) هذه النتيجة إذا كان يوم القيامة فإنه يعذب على ما آثر به الدنيا على واجبات دينه، فيندم ولا ينفع الندم، فيذوق وبال دنياه، كان عليه الصلاة والسلام يقول: (اللهم إني أعوذ بك من ولد يكون علي ربًّا ومن مال يكون علي عذابًا) المال الذي تكد ليلًا ونهارًا في جمعه هذا عذاب لا تجد طعم الراحة، أو تعمل في وقت الواجبات أو تكسبه من حرام فهذا أيضا عذاب.

١٦ - فقُـلْ لِلَّـذينَ اسْـتَعْذَبوها رُوَيْـدَكَم سَـيَنْقَلِبُ السُّـمَّ النَّقِيـعَ زُلَالُـهَا
١٧ - لِيَلْهُـوا ويَغْـتَرُّوا بِهـا مَـا بَـدا لَـهُم مَتـى تَبْلُـغِ الحُلْقـومَ تُصْـرَمْ حِبالُـها

التعليق:

١٦ - هذه نصيحة من الشيخ لمن اغتر بالدنيا وقدمها على الآخرة.

(فقُلْ لِلَّذينَ اسْتَعْذَبوها) الذين وجدوا للدنيا لذة وعذوبة أخذ طعمها بقلوبهم.
(رُوَيْدَكَم) أي: لا تتوسعوا في الدنيا ولا تجروا في الدنيا أكثر مما يُحتاج إليه، فهو خطر عليكم.
(سَيَنْقَلِبُ السُّمَّ النَّقِيعَ زُلَالُـهَا) سينقلب زلالُها سمًّا نقيعًا أي: قاتلًا.
١٧ - (لِيَلْهُوا ويَغْتَرُّوا بِهِا مَا بَدا لَـهُم) ليلهوا في الدنيا إما بمعصية الله تعالى، أو يضيِّع وقته في المباح بكثرة، ويغتر ما بدا له ليفعلوا هذا ما بدا لهم فلابد من يوم يحصل فيه الحساب والندم، يوم يعرض على النفس ما عملت.

(مَتى تَبْلُغِ الحُلْقومَ تُصْرمْ حِبالُـها) إذا بلغت النفس الحلقوم بدأ الشخص يندم يا ليتني فعلت. كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فالإنسان عند الموت يتمنى أنه ما نال شيئًا من الدنيا لأن حلالها حساب وحرامها عقاب، ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾.

يجب على الإنسان أن ينظر إلى الدنيا بنظرين: الأول: أنها زائلة والآخرة قادمة فاعمل للقادم ولا تنظر إلى الزائل. والنظر الثاني: أن يقول الإنسان يكفيني من الدنيا ما يحتاج إليه لا حاجة للتوسع. إذا أصبح عندك ما يكفيك ويكفي أولادك بوسط في العيش فلا تحتاج أن تتوسع، فرغ الوقت المتبقي للعلم للعبادة للتزود للآخرة، الذي يضر الناس ليس الفقر يضرهم التوسع

في الدنيا، فحسب الإنسان ما يغطِّي حاجته ويستغني عما في أيدي الناس، ثم يفرغ ما بقي من الوقت للأعمال الأخروية، لا سيما أبناء التجار، إذا كان هذا الذي عند والدك يكفيك يعني لو كنت مثلًا سترث عمارة وهذه العمارة ستكفيك في مصاريفك فلا حاجة أن تبقى تدرس ابتدائي وثانوي وجامعة، فرِّغ هذا الوقت للعلم الشرعي، فالله تعالى قد يسر رزقك فلا حاجة أن تجري بعد الأرزاق، بعض الناس تعجب منه عنده أموال طائلة أو عند والده وهو يجري بعد الشهادات ماذا تفعل بالشهادة تتوظف بمائة ألف ومائتين ألف وعندك الأموال الطائلة، تفرغ لما ينفعك قد أغناك الله تعالى فلا تفتقر، ولكن لله سبحانه وتعالى حكمة حين يقبل الإنسان على الدنيا يرى الفقر بين عينيه ومهما كانت أمواله كثيرة فلا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

****

١٨- ويـومَ تُـوَفَّى كُـلُّ نَفْـسٍ بِكَسْـبِها تَـوَدُّ فِـدَاءً لَـوْ بَنِيهـا ومالَـها
١٩- وتَأْخـذُ إمَّـا بِـاليَمينِ كِتابَهـا إذا أحْسَـنتْ أو ضِـدَّ ذا بِشِمالِـها
٢٠- ويَبْـدُو لَـدَيْها مَـا أَسَرَّتْ وأَعْلَنَـتْ ومَـا قَـدَّمَتْ مَـنْ قَوْلِـها وفِعَالِـهَا
٢١- بِأيْـدي الكِـرام الكَـاتِبينَ مُسَـطَّرٌ فَلَـمْ يُغْـنِ عَنْهـا عُـذْرَها وَجِدَالَـها

التعليق:

١٨- هذه الأبيات في ذكر الحساب الأخروي (ويومَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ) يوم القيامة كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في هذه الدنيا عمل وأما الحساب فإنه يكون في الآخرة.

(تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيها ومالَـها) تود النفس إذا رأت أن كسبها من الذنوب والخطايا أن تفدي نفسها بالمال بالبنين بالعشيرة، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ. وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ فصيلته أي: عشيرته.

١٩- (وتَأْخذُ إمَّا بِاليَمينِ كِتابَها إذا أحْسَنتْ أو ضِدَّ ذا بِشِمالِـها) ينقسم الناس يوم القيامة عند تطاير الصحف إلى قسمين قسم يأخذ كتابه بيمينه وهذا هو الذي اجتهد في الدنيا في العمل بالكتاب والسنة، وقسم يأخذ بشماله وهم الكفار والمنافقون وبعض عصاة المسلمين الذين خالفوا الكتاب والسنة في هذه الدنيا إما بالذنوب والمعاصي وإما بالبدع والضلالات.

٢٠- (ويَبْدُو لَدَيْها مَا أَسَرَّتْ وأَعْلَنَتْ ومَا قَدَّمَتْ مَنْ قَوْلِـها وفِعَالِـهَا) في يوم الحساب يظهر كل ما قدم الإنسان من خير أو شر ويجازى على حسب ذلك كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ والكفار يقولون يوم القيامة: ﴿يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها

فكل شيء يسجل من القول والفعل بل حتى عزائم النيات، إن كانت خيرًا فإنه يؤجر وإن كانت شرًّا فإنه يأثم.

(من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) (إنما الأعمال بالنيات) فعزائم النيات يعني إما للإنسان وإما عليه.

(بِأَيْدِي الكِرامِ الكَاتِبِينَ مُسَطَّرٌ) أي كل ما عمل الإنسان مسجل بأيدي الملائكة ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

(فَلَمْ يُغْنِ عَنْها عُذْرَها وَجِدَالَـها) وإذا جادلت وجاءت بالأعذار فلا يقبل منها لأن الله سبحانه وتعالى أوضح الحق والكتاب والسنة لئلا يكون للناس على الله تعالى حجة.

❊❊❊❊

٢٢- هُنالَكَ تَـدْري رِبْحَهـا وخَسَـارَها وإذْ ذاكَ تَلْقَـى مَـا إلَيْـهِ مآلَـها
٢٣- فإنْ تَكُ مِنْ أهلِ السَّـعادَةِ والتُّقَـى فـإنَّ لَـها الحُسْـنَى بِحُسْـنِ فِعالِـها
٢٤- تَفُـوزُ بِجَنَّـاتِ النَّعِـيمِ وحُوْرِهَـا وتُـحْبَرُ فِي رَوْضـاتِها وظِلالِـها
٢٥- وتُرْزَقُ مِـمَّـا تَشْتَهي مِـنْ نَعِيْمِهـا وتَشْـرَبُ مِـنْ تَسْـنِيمِها وزُلَالِـها

التعليق:

٢٢- (هُنالَكَ تَدْري رِبْحَها وخَسَارَها) بعد الحساب، (وإذْ ذاكَ تَلْقَى مَا إلَيْهِ مآلَـها) تعرف أين مستقرها في الجنة أو النار.

٢٣- (فإنْ تَكُ مِنْ أهلِ السَّعادَةِ والتُّقَى) من وفقه الله سبحانه وتعالى في هذه الدنيا للعمل وكان من أهل التقوى فإنه سيكون من أهل السعادة؛ لأن التقوى تجر إلى السعادة.

(فإنَّ لَـها الحُسْنَى بِحُسْنِ فِعالِـها) له الحسنى وهي الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ .

٢٤- (تَفُوزُ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وحُوْرِهَا) للمحسن وهو الموحد المتبع الطائع له في الآخرة: أولاً النجاة من العذاب. وثانيًا: دخول الجنة والفوز بنعيمها. وثالثًا: رضا الله سبحانه وتعالى، وهو أعظم ما تناله الأنفس، فإذا أحلَّ الله تعالى الرضوان فإنهم يعيشون سُعداء في أمن.

(وتُـحْبَرُ فِي رَوْضاتِها وظِلالِـها) بمعنى تُنَعَّم في حدائق الجنة وفي ظل أشجارها.

٢٥- (وتُرْزَقُ مِـمَّـا تَشْتَهي مِنْ نَعِيْمِها) ولهم فيها ما تشتهيه الأنفس، كل ما يرغب فيه الإنسان يجده في الجنة، (وتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيمِها وزُلَالِـها) تسنيم: عين من عيون الجنة تسمى بتسنيم كما قال الله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ وهذا من أعلى شراب وأفضل الشراب في الجنة.

****

٢٦- وإنَّ لَـهُمْ يَـومَ الـمَزيدِ لَـمَوْعِدًا زِيـادَةُ زُلْفَـى غَـيرُهم لا يَنالُـها
٢٧- وُجـوهٌ إلى وَجْـهِ الإلَـهِ نَـوَاظِرٌ لقدْ طـالَ مَـا بِالـدَّمْع كَـانَ ابْتِلَالُـها
٢٨- تَـجَلَّى لَهَـا الـربُّ الـرحيمُ مُسَلِّـمًا فيَـزْدادُ مِـنْ ذاكَ الـتَّجَلِّي جَمالُـها

التعليق:

٢٦- (وإنَّ لَـهُمْ يَومَ الـمَزيدِ لَـمَوْعِدًا) في الجنة يوم يوافق يوم الجمعة يسمى بيوم المزيد.

ولماذا يسمى بيوم المزيد؟ لأن من أتى إلى ذلكم المكان الذي أعده الله تعالى للزيارة يزداد جمالًا ونعيمًا. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا).

(زِيادَةُ زُلْفَى غَيرُهم لا يَنالُـها) لا ينالها إلا أهل الجنة.

٢٧- (وُجوهٌ إلى وَجْهِ الإلَهِ نَوَاظِرٌ) أهل الجنة وهم المؤمنون الموحدون ينظرون إلى وجه الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تراه بالأعين.

(لقدْ طالَ مَا بِالدَّمْعِ كَانَ ابْتِلَالُـها) البكاء من خشية الله تعالى في صلاة الليل أو في سماع القرآن والمواعظ فكان ثمرتها النظر إلى وجه الله تعالى، وقال بعضهم: إن المؤمن إذا ازداد شوقًا إلى الله سبحانه وتعالى يبكي من شدة شوقه إليه سبحانه، وإلى النظر إليه فإذا مات وكان يوم القيامة كان هذا جزاؤه.

٢٨- (تَـجَلَّى لَهَا الربُّ الرحيمُ مُسَلِّـمًا) تجلى بمعنى ظهر ووضح فنظرت إليه في وضوح (مسلما) يقول: سلام عليكم ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾. (فيَزْدادُ مِنْ ذاكَ التَّجَلِّي جَمالُـها) كما مر في حديث أنس.

٢٩- بِمَقْعَدِ صِدقٍ حَبَّذا الجارُ رَبُّهم ... ودارُ خُلُودٍ لم يَخافُوا زَوالَها
٣٠- فواكِهُهَا مِمَّا تَلَذُّ عُيُونَهُم ... وتَطَّرِدُ الأنْهارُ بينَ خِلالِها
٣١- عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ثُمْ فُرُشُهُمْ ... كَما قالَ فِيها رَبُّنا وَاصِفًا لَها
٣٢- بَطائِنُها إِسْتَبْرَقٌ كيفَ ظَنُّكُم ... ظَواهِرُها لا مُنْتَهَى لِجَمالِها

التعليق:

٢٩- (بِمَقْعَدِ صِدقٍ) وهذا أيضًا في وصف الجنة وأنها (مقعد صدق) لأن كل ما فيها حق لا باطل فيه، (حَبَّذا الجارُ رَبُّهم) الجار هو الله سبحانه وتعالى لأن الجنة تحت العرش والله جل وعلا فوق العرش، (ودارُ خُلُودٍ لم يَخافُوا زَوالَها) ودار خلود لا يموتون فيها ولا يزولون عنها.

٣٠- (فواكِهُهَا مِمَّا تَلَذُّ عُيُونَهُم) ومما تلذ أجسادهم بها ﴿يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

(وتَطَّرِدُ الأنْهارُ بينَ خِلالِها) تطرد: تستمر في كل مكان تذهب وتمشي (خلالها) وسطها وتحت السرر.

٣١- (عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) وهم مع ذلك على سرر منسوجة من الذهب ومصفوفة وعالية كما في الآية: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾. (ثُمْ فُرُشُهُمْ كَما قالَ فِيها رَبُّنا وَاصِفًا لَها) والفراش كما وصفه الله تعالى، وتوضيحه بعده.

٣٢- (بَطائِنُها إِسْتَبْرَقٌ) البطانة: الجهة السفلى أو الحشو الداخلي، وظاهرها الأعلى وهو ما يلامسه الجسم، والإستبرق غليظ الحرير، والسندس رقيق الحرير.

حرير لا يعلم جماله ونعومته وراحته إلا الله سبحانه وتعالى كما قال سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾.

(كيفَ ظَنُّكُم ظَواهِرُها لا مُنْتَهَى لِـجَمالِـها) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق وهذا يدل على أمرين: أحدهما: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة. الثاني: يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة.

****

٣٣- وإن تكنِ الأُخرَى فَوْيلٌ وحَسْرَةٌ ... ونارُ جَحِيمٍ مَا أشدَّ نَكَالَها

٣٤- لهمْ تَحْتَهُمْ مِنها مِهَادٌ وفَوْقَهُم ... غَوَاشٌ ومِن يَحْمُومَ ساءَ ظِلالُها

٣٥- طَعامُهُمُ الغِسْلِينُ فِيها وإنْ سُقُوا ... حَمِيمًا بِهِ الأمعاءُ كانَ انْحِلالُها

٣٦- أمانِيُّهُم فِيها الهَلَاكُ ومالَهُم ... خُرُوجٌ ولا مَوتٌ كَما لا فَنا لَها

التعليق:

٣٣- ذكر في أبيات سابقة ماذا لأهل السعادة والتقى ثم في هذه الأبيات ذكر الصنف الآخر.

(وإن تكنِ الأُخرَى) وإن كان العبد من أهل الشقاوة والعصيان (فَوْيلٌ وحَسْرَةٌ) عذاب له وستطول حسرته: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ ثم بعد هذه الحسرة (ونارُ جَحِيمٍ مَا أشدَّ نَكَالَها) قد يصلى النار ويعاقَب عقوبة شديدة فالنكال يعني العقوبة الشديدة.

٣٤- (لهمْ تَحْتَهُمْ مِنها مِهَادٌ وفَوْقَهُم غَوَاشٌ ومِن يَحْمُومَ ساءَ ظِلالُها) المهاد: الفراش الذي تحتهم من نار، والغواش: الغطاء الذي فوقهم كلاهما من نار، قال الله جل وعلا: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

(ومِن يَحْمُومَ ساءَ ظِلالُها) الدخان واللهب الذي له ظل في جهنم يعتبر في أشد الحرارة فإن بعض الكهوف البركانية يخرج منها دخان لو أن شخصًا وضع يده أقل من خمس ثواني وأخرجها لاحترقت من شدة حرارته، هذا في الدنيا كيف بالآخرة.

قال الله عز وجل: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ كأن المعنى أنهم يرون الظل فيهربون يريدون أن يستظلوا به فيجدونه نارًا تلظى.

٣٥- (طَعامُهُمُ الغِسْلِينُ فِيها) الطعام الذي يأكلونه هو من أقذر ما يخرج من أهل النار من صديد وغيره، (وإنْ سُقُوا حَـمِيمًا بِهِ الأمَعاءُ كانَ انْحِلالُها) إذا طلبوا الشراب أعطوا فيشربون ماءً حميماً يعني شديد الحرارة فينزل على أجسام فيمزقها تمزيقاً يرون منه الموت ولا يموتون، قال الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم.

٣٦- (أمانِيُّهُم فِيها الهَلَاكُ) من شدة العذاب والضنك والنار يتمنى أهل النار أن الله تعالى يهلكهم وأن يكونوا ترابًا: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ وينادون في أول دخولهم النار ينادون الله تعالى وينادون مالكًا خازن النار: ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ أي: نحن نختار الموت ولكن ليس هناك موت في النار نعوذ بالله تعالى من النار.

(ومالَـهُم خُرُوجٌ ولا مَوتٌ كَما لا فَنا لَها) لا يخرجون ولا يموتون بل يدوم العذاب ويطول أبد الآبدين.

****

٣٧- مَـحَلَّينِ قُلْ لِلنَّفْسِ لَـيسَ سُـواهُما لِتَكْسِـبْ أو فَلْتَكْتَسِـبْ مـا بَـدا لَهَـا
٣٨- فَطُوبَى لِـنْفسٍ جَـوَّزَتْ وتَخَفَّفَـتْ فَتَنْجُـو كَفافًـا لا عَلَيْهـا ولا لَهَـا

التعليق:

٣٧- (مَـحَلَّينِ) الأول: الجنة، والثاني: النار، (قُلْ لِلنَّفْسِ لَيسَ سُواهُما) يحاسب الإنسان نفسه، ويقول: يا نفس ها هنا جنة وها هنا نار، (لِتَكْسِبْ أو فَلْتَكْتَسِبْ ما بَدا لَهَا) فاكتسبي ما بدا لك، إما أن تكتسبي ما يصل بك إلى الجنة وإما أن تكتسبي ما يصل بك إلى النار، فكل إنسان يحاسب نفسه لعل الله جل وعلا: أن يصلح هذه النفس الأمارة بالسوء، والمسلم وإن كان يقع في ذنوب فإنه يبادر دائمًا إلى التوبة ويحاسب نفسه ويسعى في إصلاح قلبه ولا ييأس، فإن من داوم على طرق الباب يوشك أن يفتح له فيبذل الأسباب والدعاء مع ذلك ولعل الله عز وجل إذا رأى صدقه وكثرة دعائه والتألم من الذنوب أن يشرح صدره للتوبة والبعد عن الذنوب.

٣٨- (فَطُوبَى لِنْفسٍ) طوبى، الجنة، وقيل: شجر عظيمة في الجنة يسير الراكب تحت ظلها مئة سنة ما يقطعها. (جَوَّزَتْ وتَخَفَّفَتْ) تجوزت في المباح أخذ من المباح قدر الحاجة مشت على خفة ولم تفكر في البقاء ولا في التوسع (وتخففت) من الذنوب بالبعد عنها فهذه النفس يرجى لها النجاة (فَتَنْجُو كَفافًا) كفافا فسرها بـ(لا عَلَيْها ولا لَهَا) أي لعلها أن تنجو لا بكثير من الثواب ولا بالعقاب، يتمنى الإنسان أحيانًا أن ينجو ولو أن يكون في أدنى أهل الجنة منزلًا بسبب ما يرى من نفسه من تقصير جاء من حديث ابن مسعود وجاء عن غيره أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا

تُهْلِكْهُ». الذنوب وإن كانت قليلة أو من الصغائر حين تجتمع تصبح كالجبال كثرة وتهلك صاحبها كما في حديث صاحب البطاقة: (أنه يأتي يوم القيامة وعنده تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مد البصر) والإنسان لا يدري بسبب أنه لا يشاهد الصحف وما يكتب فيها يتساهل ويكثر من الذنوب وينسى الماضي.

وهذه المنظومة الجميلة ينبغي أن تقرأ في البيوت، يأخذ الإنسان كتابًا من كتب الرقائق التي شرحت شرحًا مختصرًا ويقرأ هو وأولاده في البيت يقرؤون مرة من (شرح رياض الصالحين) ومرة يقرؤون (شرح منظومة من المنظومات) وهكذا بحيث تبقى القلوب حية ولينة لا سيما الصغار إذا تربَّوا على هذه المواعِظ فإن قلوبهم تشب على اللين والصفاء والنقاء والخوف من الله سبحانه وتعالى نسأل الله عز وجل أن يُصلِحنا وأن يتوب علينا وأن يعفو عنا إنه جوادٌ كريم والحمد لله رب العالمين.

❊❊❊❊